سلسلة مطويات شبكة بينونة

الصدق

طريق النجاة وسلم الفلاح

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن فندال المزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن واله، أما بعد..

لا شيء أنفع للإنسان من الصدق، بأن يكون الإنسان صادقًا مع نفسه أولًا؛ فلا يكن غاشًّا لها، وأن يكون صادقًا مع ربِّه، وأن يكون صادقًا مع من يتعامل معه، فإذا وُجِدَ هذا الصدق من الإنسان؛ أثمر ذلك في حياته ثمرات عظيمة، وقد مدح الله ﷻ الصادقين وأثنى عليهم ووعدهم بالوعود العظيمة، يقول الله ﷻ حاثًّا أهل الإيمان بأن يكونوا مع الصادقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وذكر الله ﷻ إبراهيم بصفة الصدق في معرض الثناء فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]، وأي جزاء أعظم من جزاء الله للصادقين ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

إن صفة الصدق صفة عظيمة، ونسمة إيمانية جليلة، وخلق من الأخلاق والشيم الفاضلة التي من اتصف بها شام وارتفع، ومن تخلى عنها شان وانخفض، ولا أعني بذلك -حفظكم الله- صدق اللسان فحسب، نعم صدق اللسان مهم كما قال النبي ﷺ: «إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وما يَزالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا»[1]، لكن مفهوم كثير من الناس أن الصدق محصور في اللسان، ويتغافلون عما هو اعظم ألا وهو صدق القلب، صدق الاعتقاد، صدق العزم مع الله سبحانه، صدق العزم في نيته، فالصادق مع الله كما قال بعض أهل العلم: «الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه»[2]، ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٩٤)، وصحيح مسلم (٢٦٠٧) واللفظ له.

(٢) قالها: إبراهيم الخواص، انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٦٣)، ط. دار الكتاب العربي.

إذًا الصدق:

(١) **صدق قلب:** بالإخلاص والعزم والنية الصحيحة.

(٢) **وصدق لسان:** بالقول الصواب.

(٣) **وصدق عمل:** بأن يوافق الإنسان الحق ولو كان هذا الحق مرًّا أو صعبًا، لكنه يقف مع الحق لأنه ينبعث من داخله الصدق، لذلك قال بعض أهل العلم: «الصدق الوفاء لله بالعمل» [٣]، فمن كان كذلك فسيكون في كلِّ حياته في خير كما قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، إذا عزم الأمر وجد السير وامتازت الأمور؛ هنا يكون وضع الإنسان وبيانه وتجمُّله بهذه الصفة الجليلة التي هي الصدق، فيكون مخرجه مخرج صدق، ومدخله مدخل صدق، وقوله قول الصدق، وفعله فعل الصدق، ونياته وعزائمه وما يجول في قلبه صدق، يقول الله ﷻ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، فإذا كان كذلك فسيجعل الله ﷻ له لسان صدق وهو ثناء حسن في الدنيا، يوضع له القبول والمحبة في قلوب الناس، وقد دعا إبراهيم عليه السلام بذلك فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، أي ثناءً حسنًا، وقال الله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، قدم الصدق: الأعمال الصالحة التي يقدمها الإنسان عند ربه ويجدها يوم القيامة، ولا ينفع في ذلك اليوم إلا الإيمان والعمل الصالح، النتيجة ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

وأود هنا أن أركز أو أذكر بأن يكون الإنسان صادقًا مع نفسه، يعرف أين مواضع الزلل منها فيعالجها ويتوب، يعرف مواضع الضعف فيها فيقوِّيها، يعرف مواقع الخطأ فيصلحها، لا يكن غاشًّا لنفسه، للأسف بعض الناس يعرف من نفسه أنه على خطأ ويكابر، ويعلم من نفسه أن فيه من الصفات الذميمة

(٣) قالها: عبد الواحد بن زيد، انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/٢٦٣)، ط. دار الكتاب العربي.

كذا وكذا ولا يكون صادقًا مع نفسه بل يكابر، ويتبين ذلك عندما ينصحه الآخرون فلا يقبل النصح، ويقول: أنا لم أفعل ولم أقصد ولا أريد كذا ولا كذا، فكن صادقًا مع نفسك وإياك وأن تغرِّر بنفسك وتخادعها.

● هناك ثمرات عظيمة للصدق في حياة الإنسان في مجتمعه وعلى نفسه، منها:

● أن الصدق يورث الطمأنينة، والكذب يورث الريبة والتردد في القلب، قال رسول الله ﷺ: «**فإنَّ الصدقَ طمَأْنِينَةٌ والكذِبَ رِيبَةٌ**» (٤)، لذلك هذا الذي يكذب ويتعود الكذب ولا يكون صادقًا نفسه تشتكي منه، وصدره ضائق بكلماته، أما الصادق فهو مطمئن راكد مرتاح منشرح الصدر.

● من ثمرات الصدق كما مرَّ في الحديث «**إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وما يَزالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ**» (٥)، يجاهد نفسه ويبحث عن مواطن الصدق حتى يكون صادقًا «**فيكتب عند الله صديقًا**» والله إنه لفضل عظيم أن يُكتب العبد عند الله من الصادقين، وإنه لخسارة عظيمة أن يكتب العبد عند الله من الكاذبين، فإن رفعك الله ما استطاع الثقلين أن يسقطوك، وإن وضعك الله لو اجتمع من بأقطار هذه الأرض ليرفعوك لن ترتفع، لذلك يقول وكيع: «هذه بضاعة لا يرتفع فيها إلا الصادق» (٦)، لن ترتفع إلا بالصدق مع الله ﷻ.

● من ثمرات الصدق: أن الصادق يحوز شرفًا عظيمًا، من أعظم الألقاب والشرف أن يكون الإنسان صادقًا، يقول رسول الله ﷺ: «**أربعٌ إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا**» أربع إذا كن فيك فما يضرك ما يفوتك من هذه الدنيا «**حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة**

---

(٤) المقاصد الحسنة لابن حبان (٢٥٦).

(٥) صحيح البخاري (٦٠٩٤)، وصحيح مسلم (٢٦٠٧) واللفظ له.

(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم (ص: ٣٦٩)، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

في طعمة »[٧]، فإن كان الإنسان صادقًا مع تلك الصفات فقد حاز ما هو أفضل من الدنيا.

● الصدق علامة على صحة إيمان الإنسان؛ لأن من صفات المنافق أنه إذا حدث كذب، وهو في أفعاله كاذب؛ لأنه يتظاهر بالصلاح والإيمان أمام أهل الإيمان والإسلام ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، فهذا غاش لنفسه، كذب عليها وكذب على المؤمنين، فالله ﷻ فضحهم، أما أهل الإيمان فهم متميزون بصدقهم في الأقوال والاعتقادات والأعمال.

● **من عظيم ثمرات الصدق:** أن الصدق نجاة، ما حقيقة الصدق؟ ومتى يُعرَف الإنسان أنه بلغ مرتبةً عاليةً من الصدق؟

قال أهل العلم: «أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب»[٨]، أن تصدق في موطن هذا الموطن لو كذبت فيه لنجوت، لكن النجاة مؤقتة، فصدقك في هذا الوقت دليل على أنك صادق، لذلك قالوا: «عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فإنه ينفعك»[٩]، لو كان في بدايته شيء من الضرر، وقد يبتلى الإنسان إذا كان صادقًا، لكنها رفعة من الله ﷻ في العاقبة ولا بد.

وقد مَرَّ معنا من قصص الأنبياء ومن مضى من بني إسرائيل ما يبين هذا الأمر.

مرَّ معنا قصة الأقرع والأبرص والأعمى، وكيف نجَّا الله الأعمى بصدقه، وكيف تردَّى الأبرص والأقرع بكذبهم بعد حين.

● من ثمرات الصدق: أن الإنسان الصادق يورثه الله ﷻ مرآةً يُمَيِّز فيها بين الحق والباطل، فراسة، ذكر ابن القيم في مدارج

(٧) مسند أحمد (٦٦٥٢).
(٨) قالها: الجنيد، انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٦٣)، ط. دار الكتاب العربي.
(٩) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٦٥)، ط. دار الكتاب العربي.

السالكين: «قال بعض العلماء: من طلب الله بصدق أعطاه الله مرآةً يبصر بها الحق والباطل» [١٠].

● من الثمرات الجميلة للصدق، أن الصادق لا تخطئه ثلاثة أمور:

الأول: الحلاوة.

والثاني: الملاحة.

والثالث: الهيبة.

وقد قيل: «الصدق عز والكذب خضوعٌ» [١١].

فهذه بعض ثمرات الصدق التي ينبغي على المرء أن يتأمل فيها حتى يستمر ويزداد؛ لأن من الأسباب التي تعين الإنسان على الصدق:

أولًا: أن يتأمل هذه الأدلة من الكتاب والسنة.

ثانيًا: أن ينظر في حال الصادقين وأهل الصدق.

ثالثًا: أن يصادق الصادقين.

رابعًا: أن يجاهد نفسه في الصدق وتحرِّيه.

خامسًا: أن يكثر الدعاء بأن يجعله الله ﷻ من الصادقين.

● وأود أن أنبه إلى أن الصدق له مجالات ومواطن، سأذكِّر ببعضها:

● منها -حفظكم الله- الصدق في بيعة الإنسان لولي أمره، وذلك أن تكون بيعته لله، وأن تكون بيعته صادقةً مع وليِّ أمره، لا لدنيا ولا لمقاصد حزبيه، ولا أن يبايع جماعات ومرشد جماعة أو طريقة أو نحو ذلك، بل بيعته لولي أمره كما أمره الله ﷻ، قال ﷺ: «وَمَن بَايَعَ إمَامًا فأعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إنِ اسْتَطَاعَ» [١٢]، فثمرة القلب هي الصدق، وفي هذا جاء الوعيد الشديد على من يبايع ولي أمره من أجل الدنيا،

---

(١٠) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/٦٦)، ط. دار الكتاب العربي.

(١١) مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني (١/ ٤٠٨)، ط. دار المعرفة - بيروت.

(١٢) صحيح مسلم (١٨٤٤).

إن أعطاه وفى بالبيعة، وإن لم يعطه ما وفى له بالبيعة، قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يومَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ علَى فَضْلِ مَاءٍ بالطَّرِيقِ يَمْنَعُ منه ابْنَ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إمَامًا لا يُبَايِعُهُ إلَّا لِدُنْيَاهُ» (١٣).

● أيضًا من المجالات التي يحتاج الإنسان الصدق فيها: البيع والشراء، عند بيعه وشراءه، يقول ﷺ: «إنَّ التُّجَّارَ يُبعَثونَ يومَ القيامةِ فُجَّارًا، إلَّا منِ اتَّقى اللَّهَ وبرَّ وصدقَ» (١٤)؛ لأن النفس شحيحة تريد الدنيا وتريد الأموال وكسب الدرهم والدينار، فيظن بعض التجار أن الكذب في هذا الموطن يربحه، ولا يعلم أن فيه محق بركته، يقول ﷺ: «البَيِّعانِ بالخِيارِ ما لَمْ يَتَفَرَّقا، فإنْ صَدَقا وبَيَّنا بُورِكَ لهما في بَيْعِهما، وإنْ كَذَبا وكَتَما مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِما» (١٥)، وهذا حفظكم الله يحدث عند بعض الناس.

تسأله عند شراء السيارة مثلًا: كيف هذه السيارة؟ يقول لك: على الفحص، تقول: بيِّن لي عيوبها، شيء فيها ؟ يقول: لا، أنت افحص، وأنت ترى.

لا بد من الصدق والبيان.

● **أيضًا من المجالات المهمة في الصدق:** الصدق في الإخبار وفي نقل الأخبار، من الآفات الخطيرة خصوصًا في هذا الزمن مع انفتاح مواقع التواصل الاجتماعي: واتس أب، تويتر، انستقرام، اسناي شات وغيرها، يتكلم الإنسان بالكلمة تبلغ الآفاق، إن كانت صدقًا فهنيئًا له تلك الأجور، وإن كانت كذبًا فنسأل الله ﷻ أن يسلمنا من تلك الآثام. يقول ﷺ في الذي رآه يشق فمه إلى شدقه قال جبريل: «يَكْذِبُ بالكَذْبَةِ تُحْمَلُ عنْه حتَّى تَبْلُغَ الآفاقَ» (١٦)، انظر إلى الإشاعات اليوم التي تنتشر على مواقع التواصل الاجتماعي،

(١٣) صحيح البخاري (٧٢١٢).
(١٤) ضعيف الجامع (٦٤٠٥).
(١٥) صحيح البخاري (٢١١٠).
(١٦) صحيح البخاري (٦٠٩٦).

انظر إلى الكذب على بعض الناس، الكذب والإشاعة التي تنتشر في حق ولاة الأمر وفي حق بعض الدول وفي حق بعض الفضلاء، كذب يضر بالمجتمع، وأشد منه الكذب على رسول الله ﷺ؛ فإن بعض الناس يستسيغ ويتساهل في هذا الجانب، إن كانت نيته حسنة فهو مخطئ، وإن كانت نيته سيئة فقد زاد على الخطأ خطأً، النبي ﷺ يقول: «مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (١٧).

● **أيضًا من مجالات الصدق:** الصدق في العمل، العمل الذي تكسب منه رزقك، هل أنت صادق في عملك هذا؟ هل أنت صادق في دوامك؟ هل أنت صادق في تعاملك مع مسؤولك؟ هل أنت صادق أيها المسؤول في أداء وظيفتك؟ كل مؤسسة وكل دائرة من رأس هرمها إلى أقل موظف فيها يحتاجون إلى الصدق، لذلك بعض الناس قد يعمل العمل من أجل مدح المدير مثلًا، فإذا ما مدحه المدير كلَّ عن العمل وتركه يقول لك: أنا لماذا أعمل؟ طيب وهذا الراتب الذي تقبضه !؟ وكذلك بعضهم إذا روقب عمل، وإذا خلا بنفسه تكاسل وكسل، الصادق يعمل ويجتهد في عمله مع رفقائه ولا يكيد ويحسد ويغش أصدقاءه وزملائه في العمل، يقول ﷺ: «إنَّ اللهَ يحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكم عملًا أنْ يُتقِنَه» (١٨)، فالصادق صادق في عمله، أمين في ذلك العمل، قوي في أدائه.

● أيضًا يحتاج الإنسان إلى الصدق في حياته الأسرية، يحتاج أن يكون صادقًا في تربيته لأبنائه، صادقًا في تعامله مع زوجته، والزوجة صادقة في تعاملها مع زوجها، تطيعه لله وتمتثل أمره وتوقره، وتعمل في بيته في وجوده وعند غيابه كأنه موجود، وهو كذلك يؤدي دوره في البيت بصدق، والأبناء كذلك -حفظكم الله-.

---

(١٧) صحيح البخاري (١٢٩١).

(١٨) إتحاف الخيرة المهرة (٣/ ٣٨٢)، ط. دار المشكاة للبحث العلمي.

من أراد أن يضع للمجتمع قاعدة قوية فليغرس فيه شجرة الصدق، فالصدق شجرة لا ينقطع ثمرها، والصدق مطية لا تكبو، كما أن الصدق منجاةٌ في كل وقت وحين، وهو مما يرفع شأن المسلم، ويرفع مستوى المجتمع والأداء والعطاء والتعامل، فليكن الإنسان صادقًا في جميع حياته حتى ولو عومل بالكذب، لو كذبوا عليك فلا تكذب عليهم، ومن نم فيك فلا تنم فيه، ومن اغتابك فلا تغتبه، بل كن صادقًا ناصحًا وفيًّا، تعامل الناس فيما يرضي الله، ومن عصى الله فيك فلا تعصي الله فيه.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الصادقين، وأن يوفقنا للصدق في الاعتقاد والقول والعمل، وأن يبارك في أموالنا وأولادنا، ويحفظ مجتمعاتنا، ويوفق ولاة أمرنا لكل خير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.